تصورات وتوقعات الطلبة الجامعيين لأداء الأستاذ الجامعي لأدواره
مقاربة ميدانية لعينة من طلبة فرع علم الاجتماع

بن زياني محفوظ
رياب رابــح

من المتوقع أن يؤدي الأستاذ الجامعي جملة من الأدوار؛ سواء كانت بصورة انفرادية أو جماعية؛ علاوة على ذلك فان الطلبة الذين يتعامل معهم في الفعاليات التدريسية المعتادة هم من اليافعين وممن يتأثرون بالانطباع؛ مع العلم أن حجم الصف حتى في حقول كانت إلى وقت قريب توصف بالمحظوظة مثل الطب والهندسة زاد بشكل كبير مما خلق حالة من اللاتوازن في نسب أعداد الطلبة؛ ومع ما لهذه العراقيل من تأثير في نوعية التعليم فان استعمال أفضل الأساليب التعليمية يبقى تحديا كبيرا ضمن الأدوار التي من المفترض أن يقوم بها الأستاذ الجامعي.

ومهما كانت الأساليب المستعملة من طرف الأستاذ الجامعي في التعامل مع طلبته فانه من المتوقع أن يقوم الطلبة بتقييم مدرسهم بصورة غير رسمية، معتمدين في ذلك على المستوى المحسوس لكفاءاته من خلال المقررات التي يقوم بتدريسها مع افتراض أنه على علم بتفاصيل المقررات الموكلة إليه في التدريس باعتباره متخصصا في ذلك، وحجة في الموضوع الذي يقوم بتدريسه؛ وهو في الحقيقة الدور الأول المنوط بالأستاذ الجامعي. لقد أظهرت الدراسات[1] أنه وفي بعض الحالات يفشل الأستاذ الجامعي في أداء ما هو مفترض أن يقوم به لأحد الأسباب التالية؛ منفردة كانت أم مجتمعة:

- الافتقار إلى الإعداد الكافي؛ إذ فضلا عن الإعداد الجيد للمحاضرة؛ فانه يجب على الأستاذ الجامعي أن يحدد بدقة إلى أي صنف من الطلاب يريد توجيه محاضراته[2]، وهذا يتطلب منه معرفة طبيعة تخصص طلابه؛ أدبيين كانوا أم علميين وهذا من أجل تحديد كيفية تقديم مصطلحات ومفاهيم محاضراته بشكل يسمح باستيعابها بشكل مقبول، فضلا عن تحديده للأصناف العمرية لمجموعاته الطلابية بغية الإلمام بأي تأخر مدرسي[3] من شأنه

---

[1] بربارا، ماتيرو؛ وآخرون، الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ترجمة:حسين، ماجد عبد اللطيف؛ وآخرون، ط1؛ (الأردن:دار الشروق،2002)، ص29.

[2] إن عقلنة التعليم يجب أن تتعدى جانب الاهتمام بالممارسة المهنية التي تسمح بقيادة الفصول الطلابية إلى محيط العلاقة التعليمية، ونوع المتعلم لضمان التفاعل المعرفي والاجتماعي بين المعلم والمتعلم. راجع الفرق بين البيداغوجيا والتعليمية من خلال: ج.ج.د.ش،المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، تعليمية المواد في المدرسة الابتدائية.الجزائر :م.و.ت.م.ت.م.ت.ت.م، ص11.

[3] دراسة ميدانية أجريت يوم:15 مارس2010 على عينة من طلبة السنة الثالثة علم الاجتماع قوامها سبعة وخمسون طالبا؛ في وحدة منهجية الاتصال؛ للمزيد من المعلومات، يرجى الإطلاع على حيثياتها ونتائجها في ملحق هذه الدراسة؛ خاصة فيما يتعلق بسن العينة المبحوثة.

أن يعيق فهم المحاضرة وذلك بالتصرف في كيفية إيصال المعلومة للطالب وتبسيطها بالشكل المطلوب؛ خاصة من ناحية اللغة التي ستفهم من خلال المستويات العمرية المختلفة بأشكال متغيرة؛ فما يعتبره الأستاذ إرشادا ونصحا يفهم من طرف الطلاب كبار السن من الجنسين هجوما وتهديدا غير لائق[4] ونقدا سوف ينال لا من كيفية إيصال المعلومة فحسب، بل من كفاءة الأستاذ البيداغوجية والاجتماعية[5] .

- ضعف أساليب الإلقاء؛ إذ كثيرا ما نسمع الطلبة وهم يتذمرون من محاضريهم لا بسبب المعلومات المقدمة من طرف أساتذتهم، والتي يعتقدون أنها قيمة[6]؛ بل بسبب الطريقة التي تقدم بها هاته المعلومات؛ إن أسلوب الإلقاء من شأنه أن يكشف حجم الفرق بين المحاضرة الجيدة من الرديئة. وتتضمن هذه النقطة جملة من العوامل المؤثرة في الأسلوب؛ نذكر منها: طبيعة الأسلوب موجها كان أم حواريا[7]، وكذا صوت المحاضر جهوريا كان أم منخفضا وسرعة إيقاع الكلمات الناقلة للمعلومة، وكيفية مراقبة الأستاذ لطلابه[8]، وكيفية تعامل الأستاذ مع دفتر محاضرته، خاصة إذا تعلق الأمر بمعلومات يندر الحصول عليها من الكتب المتوفرة في المكتبات فيصبح استعمال الكتابة على الصبورة بطريقة منظمة[9] وخط مقروء حينها أمرا لا مفر منه لتمكين الطالب من تسجيل المعلومات التي يراها مفيدة.
- الإنجرار بالمحاضرة إلى مستوى أكاديمي أعلى[10] أو أدنى من مستوى الطالب بقصد أو بدون قصد؛ فقد يجد الأستاذ نفسه يجابه وضعا طلابيا مشردا أو حائرا أو متذمرا لمجرد إحساس الطالب بأن المعلومات المقدمة إليه لا تناسب مستواه لأسباب لا تتعلق بالأستاذ؛ بل لاعتبارات خارجة عن نطاقه خاصة إذا كان المقرر المعني مقررا متدرجا لسنوات ويرتبط بمقررات أخرى تتداخل معه. و قد تكون لأسباب خارجة عن نطاق الطالب نفسه أيضا إذ لم يسبق له تناولها أو إتمامها؛ إننا ولظروف عديدة نحن الأساتذة نصرح في وثائق إدارية تقدم إلينا عن مدى التقدم في إنجاز المقررات بأننا أنجزنا المقرر بنسبة مائة بالمائة متناسين أن ذلك قد يضر- بل الأكيد أنه يضر- بتراكم المعلومات لدى الطالب خاصة في المقاييس التي تعتمد على بعضها لإنجاز البحوث الميدانية، معتمدين في ذلك على صمت الطالب أو جهله بما ينجر عن ذلك فيما بعد، وقد نلجأ إلى ترهيب الشاذ من الطلبة عن هذه القاعدة[11].

---

[4] يقول بعض الطلبة أننا نشعر من خلال كلام الأستاذ بجفاف المعاملة ونوعا من التهديد اللفظي.

[5] ايريك، جونسن، التدريس الفعال. ط1؛(العربية السعودية:مكتبة جرير،2006)، ص95.

[6] ملاحظات بعض الطلبة المستجوبين عن طبيعة المعلومات المقدمة إليهم من طرف الأستاذ.

[7] يعتقد بعض الطلبة أن أسلوب الأستاذ يغلب عليه الطابع الإلقائي الموجه الذي يعتمد على الإملاء فقط.

[8] يعتقد بعض الطلبة أن حركة الأستاذ وهو واقف تشتت تركيزهم، باعتبار أن الأستاذ المثالي لديهم هو ذلك الأستاذ الذي يجلس في وقار، في حين أن طبيعة المحاضرة ومتطلباتها التوضيحية هي التي تفرض على الأستاذ الوقوف واستعمال الصبورة.

[9] يتذمر بعض الطلبة من أن الأستاذ لا يقوم باستعمال الصبورة بشكل لائق، تنظيما وكتابة بالشكل الذي يسمح لهم من تسجيل الملاحظات التي يرونها ضرورية.

[10] يعتقد بعض الطلبة أن الأستاذ لا يأخذ مستواهم الضعيف بعين الاعتبار حين تقديمه لمفاهيم محاضراته؛ لأن ما يقدمه يفوق مستواهم.

[11] لقد عايشت الكثير من مواقف التصادم بين ممثلي الطلبة والأساتذة خلال الاجتماعات البيداغوجية التقييمية الدورية خلال تجربتي الإدارية المتواضعة أو تجربتي التعليمية كأستاذ لمقاييس مختلفة.

- عدم معرفة ما يتوقعه الطالب من الأستاذ؛ فكثيرا ما يبدأ الطالب سنته الجامعية بالبحث --وهو يتفحص جدول توقيته السنوي- عن كل شاردة وواردة عن الأساتذة الذين يدرسون مقرراته، فتراه يسأل من سبقوه أو من درسوا عند هؤلاء الأساتذة عن انضباطيتهم الاجتماعية والبيداغوجية، أخلاقهم، طبائعهم، صرامتهم، جديتهم في العمل، وهفواتهم بغية استثمار ما يمكن استثماره للنجاح بأيسر السبل، وكأنه مهتم بسيرهم الذاتية وليس بما يقدمونه من معلومات أو الأصح توجيههم نحو كيفية البحث عن المعلومات[12]. إننا سنخطئ كثيرا إذا اعتبرنا هذا الطالب لا يفقه في الحياة شيئا [13]. إن تجاربنا الواقعية البسيطة طوال سنوات التحاقنا بسلك التدريس الجامعي أفادتنا أيم إفادة في التعامل مع الطالب الذي يجب ألا نستهين به ويجب أن نقدره أيما قدر إذا ما أردنا أن نكتب النجاح لعملنا الجامعي كمدرسين؛ يجب أن نجمع بدورنا نحن الأساتذة بواسطة أدوات بحثية مناسبة [14]كل معلومة نراها مناسبة لإنجاح العملية التعليمية الجامعية لأن فهم ما يريده الطالب وما يتوقعه منا من أدوار ليس عملا سهلا بل يحتاج إلى اجتهاد وتخطيط مسبقين.

لكن ومن خلال الهفوات التي قدمناها سابقا عن أسباب فشل الأستاذ الجامعي ومن ورائه العملية التعليمية الجامعية في الوصول إلى مبتغاها ليس بالمعنى المثالي بل بالمعنى الإنساني، هل يمكن الحديث عن أستاذ جامعي مثالي في حياته الاجتماعية والعملية؟ بخصائص مثالية[15]:

- يمتلك صوتا واضحا ونطقا سليما.
- يتحدث بصورة معتدلة.
- يستخدم صوتا جهوريا.
- ينوع في تنغيم صوته.
- يوظف الأسلوب الإلقائي الحواري.
- يستخدم اللغة والمصطلحات سهلة الفهم.
- يستخدم التعبيرات الوجهية والإشارات.
- لا يتخوف من إظهار الابتسامة.
- يركز في نظره على الطلبة واحدا واحدا بحثا عن تواصل بيداغوجي، ثم على الصف بصورة عامة.
- يكون بارعا ومتهيئا بصورة عامة.
- يكون نشطا وباعثا لروح الحماس.

---

[12] في خضم الكم الهائل من المعلومات نتيجة الثورة التكنولوجية فان دور الأستاذ في اعتقادي بدأ ينحسر أكثر نحو إرشاد وتوجيه الطالب نحو طرق البحث عن المعلومة باعتباره خبيرا في ذلك، بدل تقديمه لها باعتباره المالك الحصري لها في إطار تخصصه.

[13] لقد تم جمع هذه البيانات من خلال المقابلات التي تمت على هامش هذا البحث مع طلبة من الجنسين وبمستويات دراسية متباينة.

[14] سبق وأن، قمت في بداية تجربتي التدريسية بتوزيع استبيان يتضمن معلومات شخصية عن الطالب لكنه لاقى رفضا من طرف الطلبة لاعتبارات قيمية خاصة من طرف الطالبات.

[15] بربارا، ماتيرو؛ وآخرون، مرجع سابق، ص33.

يجب ألا ننسى أن الأستاذ الجامعي وهو ُ ترجى منه المواصفات السابقة؛ للقيام بواجبه على أكمل وجه، له التزامات اجتماعية وعائلية؛ ومن جانب آخر فان النظام الجامعي ومن ورائه المجتمع ينتظر منه مجموعة من الأدوار الأخرى التي تنبني في الأساس على الدور الأول؛– الدور الذي أعطاه مشروعية طرح أفكاره على جمهور متميز مجبر على الاستماع إليه والأخذ بأفكاره والاستفادة منها_؛ إن الأستاذ الجامعي متميز في التخطيط والتنظيم؛ متميز في إنجاز أعماله التي تتعلق بالتدريس؛ كما هو متميز في طريقة إشرافه على طلبته وعلى أعمالهم بشكل يعطي الانطباع بأن لاشيء من الأعمال العلمية يبدو صعب المنال إذا ما أحسنا التخطيط والتنفيذ.إن الأستاذ الجامعي رغم التزاماته الاجتماعية والعائلية والمهنية قد يبدو قدوة للكثير من الطلبة الذين يبدون إصرارا على النجاح –وهم القلة في الغالب– وهو بذلك ينقل خبراته المهنية بطريقة النصح أو الفعل؛ إن صورته في الواقع قد تستلهم من هم في أمس الحاجة –من النماذج الناجحة أصلا في الوسط الطلابي والتي تنقصها فقط صورة النموذج الناجح في الواقع لتجديد الطاقة– للوصول إلى المطلوب؛ «إن الحظ مستدعى دائما من طرف الناس الذين يستحقونه"[16].

ورغم الجهد الذي يبذله الأستاذ الجامعي للوصول إلى الرضا عن مهنته، إلا أنه قد يحدث وأن يصير هذا الجهد إلى غير مبتغى مطلوب، إذ يحدث وأن يتذمر الطلبة من نتائجهم المتحصل عليها بشكل من الأشكال المتعارف عليها في الوسط الجامعي، وقد يعبرون عن غضبهم بالغياب عن حصص الأستاذ أو التلميح للأستاذ تصريحا أو إيماء بما يضايقهم أو قد يلجؤون للإدارة لإنصافهم من الظلم الذي لحق بهم[17]؛ وقد يبدو للأستاذ في أول وهلة وفي لحظة غضب–مع العلم أنه ليس من حقه الغضب[18]– أن تصرف طلبته هو تمرد ونكران جميل. إن إحدى أبسط الإجراءات الموضوعية تتمثل في تصنيف نتائج الطلبة واستنتاج الأسباب الكامنة وراءها؛ لقد دلت نتائج الدراسة الميدانية [19]أن الطلبة الذين حصلوا على نتائج دون المتوسط هم إما غير قادرين على فهم المحاضرات أو لم يقوموا بإعارة الاهتمام اللازم لها من خلال عدم حضورهم الدائم رغم تفرغهم التام للدراسة. و تشير نتائج الدراسة أيضا أن قسطا لا بأس به من الطلبة لم يتمكن من تحديد مدى فهمهم لمحاضرات المقرر ولم يتمكن أيضا من تحديد مستواه في وحدة المنهجية؛ إن معظم الطلبة يتحاشون الجوانب الكمية للأسئلة المطروحة في الاستحقاق التي ترتبط بالإحصاء، رغم ما للإحصاء من أهمية في توضيح جوانب مهمة في وحدة المنهجية؛ وفوق ذلك أبدى جل الطلبة تذمرا واضحا من طبيعة الأسئلة المطروحة، فهم لم يتعودوا على الأسئلة الموضوعية التي تعتمد على التركيز والفهم لا الحفظ في الغالب؛ بينما تعودوا في سنوات التدرج على الأسئلة المقالية المباشرة التي تسمح باسترجاع المعلومات المحفوظة إلى الأستاذ دون عناء بواسطة الحفظ[20] أو الوسائل الأخرى التي زاد استعمالها في الوسط الطلابي في السنوات الأخيرة حتى أصبحت هي الأصل وغيرها الاستثناء في غياب وسائل ردعية

---

[16] مثل شعبي فرنسي." la chance est toujours convoqué par les gens qui se mérite"

[17] يحدث وأن يستدعى الأستاذ من طرف الإدارة لتوضيح فحوى شكوى تقدم بها الطلبة وقد لا يكونوا ممثلين للدفعة حول ما يزعمون بأنهم غير قادرين على متابعة محاضرات وحدة ما لخلل في طبيعة المعلومات المقدمة من الأستاذ، أو لخلل في طريقة تقديمها وقد تتم هذه الشكوى بعد سداسي كامل وبعد ظهور نتائج الامتحانات تحديدا ! .

[18] ايريك، جونسن؛ مرجع سابق، ص95.

[19] بالإمكان الإطلاع على نتائج الدراسة في الملحق.

[20] **مسعد،** محمد زياد. الاختبارات: مفهومها وبناؤها. *www.drmosad.com/index97.htm*

فاعلة عملا بالمثل الشعبي"من نقل انتقل ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه"؛ لقد أضحت جدران قاعات الدراسة وطاولاتها لوحات يتفنن الطلبة في النقش عليها وقد دخلت الوسائل الحديثة على الخط لتدعيم هذا المنحى حتى أصبح الأستاذ الجامعي يستحي من استعراض هاتفه المترهل أمام طالب يستثمر في كل أنواع التكنولوجيا الحديثة للوصول إلى مبتغاه مع العلم أن الأمر هنا لا يقبل التعميم؛ إن الطالب أصبح يتدخل –ويجب أن يستشار–حتى في نوع الأسئلة التي ستطرح عليه حتى يتمكن من الإجابة الصحيحة.

أشارت نتائج الدراسة أيضا إلى أن معظم الطلبة يتحاشون التداخل المطلوب توظيفه ببراعة وإتقان بين الوحدات المقررة عليهم والتي تعتبر مهمة جدا في تصنيف الوقائع الاجتماعية المدروسة بغية تحديد المفاهيم بمستوياتها النظرية والإجرائية لقراءة الواقع الاجتماعي؛ إننا ومن خلال هذا التقديم نود التمهيد للدور الثالث الذي يجب على الأستاذ أن يديره بإتقان؛ ألا وهو الإرشاد الأكاديمي للطلبة؛ هل يمكننا كأساتذة جامعيين أن ننسحب من مهامنا ونترك الطالب يقترح الأسئلة ليجيب عنها فيما بعد؟ هل يمكننا أن نسلم بهذا الواقع؟ إذا أردنا النجاح للعملية التعليمية –وأنا لست بصدد الحديث عما يجب أن يكون– فان على الإدارة الجامعية في مستوياتها الدنيا أن تقوم بالمساندة المعنوية المطلوبة للأستاذ الجامعي في تأطير عملية الإرشاد الأكاديمي للطلبة وليس الوقوف صفا مع الطالب ارضاءا أو خوفا من اضراباته وتهديداته.

إن تصرفات الطلبة التي أشارت لها نتائج الدراسة هي مجرد توقعات سلبية نحو تشعب وحدة المنهجية ناتجة عن تخصصات الطلبة في المرحلة الثانوية الآتية أغلبها من تخصصات الآداب والعلوم الإسلامية، والتي لا يتلاءم تكوينها مع متطلبات بعض التخصصات الاجتماعية والإنسانية التي تتطلب حدا أدنى من المعارف العلمية والرياضية؛ وهنا يطرح سؤال –نعتبره مجرد سؤال – يلح علينا بالإجابة؛ ما مصداقية التوجيه الثانوي ؟. ورغم أننا لا نريد التشكيك في العملية التعليمية بجميع مستوياتها؛ ورغم أن المثالية هي ضرب من الجنون فان الإرشاد الأكاديمي يصبح في هذه الحالة أمرا بالغ الأهمية في تحسيس الطالب بما يجب القيام به، وما يجب فعله لملء الفراغات في تكوينه من أجل الوصول إلى تكوين أفضل؛ وليس من خلال إرضاء الطالب والتساهل في الامتحانات ومنح العلامات التيُ تمكن من النجاح؛ إن صورتنا كأساتذة جامعيين ستصاب حينها في الصميم.

يفترض من الأستاذ الجامعي كذلك أن يكون مرشدا اجتماعيا باعتباره أكبر سنا من الطلبة وأكثر حنكة اجتماعية، فإنه من المتوقع أن يقوم بدور الآباء والأمهات من خلال تفاعله مع الطلبة من خلال المحاضرات والأعمال التطبيقية واللجان البيداغوجية ومختلف النشاطات الاجتماعية؛ وهو في الحقيقة التوجه الذي ينشده النظام الجامعي الجديد "أل أم دي" من خلال ما يسمى بنظام المصاحبة.

لقد أظهرت نتائج الدراسة الميدانية تواصلا اجتماعيا ضعيفا بين الأستاذ والطلبة خارج الإطار البيداغوجي[21] لاعتبارات تتعلق بتوقعات سلبية من طرف الطلبة كعدم رغبة الأستاذ في التواصل معهم[22]، أو أنه لا يتقبل أفكارهم البسيطة، أو لاعتبارات شخصية أو انضباطية تجعل الطالب يراه صارما إلى حدود مبالغ فيها تمنعه من

---

[21] يعتقد بعض الطلبة أن شخصية وانضباطية وصرامة الأستاذ المبالغ فيها وعدم ابتسامته لا تشجعان في الغالب على التواصل معه توضيحا لبعض نقاط الدرس غير المفهومة أو طلبا للنصيحة أو المشورة في مسائل اجتماعية أو نفسية أو بيداغوجية.

[22] يحبذ بعض الطلبة حسب نتائج الدراسة أن يكون الأستاذ صديقا وزميلا لا مقدما للمعلومات فقط لأن المعلومات يمكن الحصول عليها من الكتب.

الانجذاب نحوه بأي شكل من الأشكال. إن هذه الانطباعات قد تعيق في الواقع كل عملية اتصال سواء في المجال الاجتماعي أو البيداغوجي؛ مع العلم أن الكثير من الطلبة يتحاشون السؤال عن مسائل علمية ذات علاقة بمقرراتهم في إطار المحاضرات أو الأعمال الموجهة ويفضلون الاتصال الشخصي بعد انتهاء الحصص في الأروقة مع ما يشكل ذلك من عبئ إضافي وتأثير على تنظيم الأستاذ لوقته بين الحصص؛ مع ما لحاجته لهذه الدقائق في التقاط أنفاسه لمواصله مشواره البيداغوجي اليومي الذي يمتد أحيانا من الساعات اليومية للصباح حتى نهاية فترة الدوام. تقول(بربارا ماتيرو):"...يكون احترام الطلبة للأستاذ في بعض الأحيان مصحوبا بشيء من الخوف، ويتردد البعض منهم في التشكيك أو مناقشة آراء مدرسيهم حتى حينما تكون تلك الآراء قابلة للجدل، أما بعض الطلبة فإنهم يقومون بإثارة الأسئلة في الممرات وليس داخل القاعات وهناك من لا يميز بين الأكاديمي والشخصي...وقد يعمد الطلبة إلى حفظ الكثير من البيانات بدل فهمها"[23]

من جهة أخرى، فان القيام بهذا الدور يتطلب؛ كما أشرنا سابقا فارقا في السن يمكن الأستاذ الجامعي الحالي الذي هو في الغالب ونظرا لاستراتيجيات التوظيف الحالية التي تعتمد تشبيب التأطير الجامعي، جعلت فارق السن بينه وبين طلابه يكاد يكون ضئيلا جدا؛ وقد تجد في بعض الأحيان سن بعض الطلبة من الجنسين– كما دلت الدراسة –يفوق سن الأستاذ؛ إضافة إلى عدم وجود فضاءات للتواصل الاجتماعي ولا حتى البيداغوجي؛ إن عملية الاشراف البيداغوجي على مذكرات التخرج في مختلف التخصصات لا تجد لها فضاء مكانيا مناسباُ يمكن الطلبة من مراجعة أساتذتهم في أوقات معلومة طلبا للمشورة والنصح، حتى أضحى موقف سيارات الكلية مكانا لإنجاز هذه الأعباء البيداغوجية. إن هذه الأماكن الاضطرارية لا تشجع التواصل مع الطالب خاصة ضمن منظومة قيمية محافظة جدا ليس بالمفهوم السلبي ولكن بالمفهوم التقليدي الذي يعتمد على الرقابة الاجتماعية بدل الرقابة التربوية والأخلاقية؛ كما يقول "أيميل دوركايم" في كتابه :(التربية وعلم الاجتماع)[24]في قضية الوعي الجمعي؛ ولا غرابة أن منظومة التواصل الاجتماعي بين الأساتذة أنفسهم تشوبها الكثير من التناقضات المميزة أساسا من خلال محددات الهوية الاجتماعية وليست الوطنية كالجنس والأصل (الجغرافي والاثني) والعرف الاجتماعي بدل المكانة والوظيفة والدور.

في ظل ما سبق والحال كذلك هل يمكن أن نتصور أن يقوم الأستاذ الجامعي بهذا الدور الإرشادي الذي يتوقعه منه طلبته باعتبار خبرته الاجتماعية المتأتية من سنوات التجربة المهنية والاجتماعية والتربوية؛ وهو يبدو وكأنه رهان حقيقي في النظام الجامعي الجديد الذي يهدف إلى تأطير مختلف النشاطات الطلابية داخل وخارج الحرم الجامعي ضمن منظومة اتصالية تعتمد على الاتصالين المباشر والتقني(البريد الالكتروني؛ الهاتف الثابت والخلوي؛ السكايب) لتقديم النصح البيداغوجي والاجتماعي والمهني ولما لا النفسي لطالب يبدو تائها أو على الأقل هكذا يبدو وسط تغيرات سريعة اجتماعية واقتصادية وبيئية بالمفهوم الواسع ؟.

وفضلا عن الأدوار المذكورة آنفا؛ فانه من الحري بالأستاذ الجامعي أن يساهم في تطوير المعرفة باعتباره منتجا رئيسيا لها في مختلف التخصصات الجامعية إثباتا لجدارته لمنصب الأستاذية وبحثا عن الترقية في السلم

---

[23] بربارا ماتيرو؛ وآخرون، مرجع سابق؛ ص111.

[24] Emille, Durkheim , Education et sociologie.(Alger :ed EL borhane,1991) ;page 21.

الوظيفي؛ وحول هذه المسألة تدور العديد من النقاشات في جامعات العالم المتقدم[25] التي تربط الكفاءة في التدريس بالبحث والنشر وبالتالي الترقية، وهنا نؤكد على مقاربة ذات أهمية بالغة ترتبط بمسألة التعليم الجامعي؛ إن حالة التيهان التي تعتري الطالب الجامعي في مسألة المراجع الأساسية التي يجب على الطالب أن يطالعها في مقرر دراسي معين مازالت تثير الكثير من الجدل في الوسط الطلابي خاصة إذا لم يكن للأستاذ مطبوعات خاصة به، أو كتب من إنتاجه –وهو الشائع– تغطي المقياس الذي يدرسه، أو حتى مصادر ومراجع أساسية محددة يوجه إليها طلابه للإلمام بمقرر مادة ما؛ إذ وحسب نتائج الدراسة الميدانية فان الطلبة –وفي ظل الموجود فعلا من الكتب في مكتبة الكلية–فان الطالب يتذمر كثيرا من مسألة توجيهه للمراجع خاصة الأجنبية منها باعتباره معربا إلى درجة كبيرة جدا، ويعتبر أي توجيه له من الأستاذ لهذه المراجع نوعا من العقوبة؛ مع العلم أن المقروئية لدى الطالب حتى باللغات التي يحسنها تبدو من خلال الدراسة محتشمة.

والحقيقة أن طبيعة مادة منهجية الاتصال المقررة لطلبة السنة الثالثة تخصص اتصال في فرع علم الاجتماع تعتمد على المراجع الأجنبية؛ الفرنسية منها تحديدا وهذا لافتقار المكتبة العربية للدراسات النظرية والتطبيقية على السواء خاصة فيما تعلق بتحليل المحتوى واشتقاقاته الحديثة، كالفارق الدلالي لأوسقود، والتحليل بالتقابل لرموز الاتصال، وتحليل الخطاب، والتحليل المتعدد المتغيرات، وهي مجهودات مستعارة أصلا من الحقل الأدبي والتقني كضرورة لاستعمالها في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

من المعلوم أيضا أن إشراك الطالب في بحوث ميدانية–مع العلم أن انعدام السلوك العملي[البحثي] لفكرة ما[نظرية] يؤدي لموتها لأن مجرد وجودها النظري والذهني لتصوراتها الأساسية لا يكفي كما يقول (المودودي) رحمة الله عليه[26] – من تأطير أساتذة الاختصاص والذي يعتبر من خلال نتائج هذه الدراسة مطلبا جماعيا لتطبيق المعارف النظرية؛ ورغم أهميته القصوى إلا أنه يعتبر مطلبا صعب المنال لاعتبارات تتعلق بعدد الطلبة المتزايد من سنة لأخرى والذي يجعل مسألة التأطير الميداني عملية شبه مستحيلة لعدم وجود مخابر وفرق بحث لازمة لذلك؛ مع العلم أن هذا المطلب تم أخذه بعين الاعتبار في نظام "أل أم دي" بعين الاعتبار ولو على المستوى النظري.

أشير هنا فقط إلى أن اقتراحنا بتأطير المجهودات الفردية الميدانية للطلبة التي تم اقتراحها من طرف بعض الزملاء من الأساتذة لم تلق الترحيب الكافي في الوسط الطلابي لعدم تحبيذ الطالب للمبادرات الفردية التي يراها تشكل عبئا إضافيا عليه، وهو ينتظر بذلك ولاعتبارات عديدة المبادرات الجاهزة من طرف الأساتذة، وهو عائق يجب الإشارة إليه في وجه النظام الجامعي الجديد الذي يعتمد على تأطير المبادرات الفردية والجماعية للطلبة.

يقول (آلان كولون): مما يحبط طموحات الأستاذ الجامعي رؤيته لهم وهم يفتقدون للجهد الشخصي؛ فمعظم الطلاب غير قادرين على العمل بدون جزرة، أي خارج فترة الامتحانات؛ ...إذ يستحيل جعلهم يعملون في بيوتهم: لا يدرسون الدروس أبدا قبل تقديم المدرس لها، وينسون ما كانوا درسوا في السنة الماضية(وربما يتهمون أساتذة السنوات السابقة بأنهم لم يقدموا لهم شيئا إذا ما سئلوا عن تناولهم لبعض الأشياء التي ترتبط بمقرراتهم الحالية)؛ ينقصهمُ بعد النظر والفكر الناقد...يعتريهم شيء من الخوف في الانتقال إلى الاستقلال، إلى النضج الفكري.

---

[25] بربارا ماتيرو؛ وآخرون، مرجع سابق؛ ص40.

[26] أبو الأعلى، المودودي،نحن والحضارة الغربية.(الجزائر:د.م.ج ،1985)،ص312.

وهؤلاء يبحثون عن وصفات جاهزة للنجاح في الامتحانات[27] . إننا لسنا بصدد إصدار أحكام على الطالب الذي يجب أن نتحمل المسؤولية كاملة تجاهه، وأن نعرف مواطن ضعفه ليس من أجل استغلالها؛ ولكن من أجل مساعدته على التخلص منها؛ وحتى نكون منصفين فان الكثير من الأخطاء التنظيمية ربما تقع على عاتقنا أو عاتق الإدارة البيداغوجية المشرفة على العملية التعليمية؛ إن ضعف التنسيق بين أساتذة المحاضرات والتطبيق، إن لم نقل انعدامه في حالة تعدد الأساتذة في المقياس الواحد، وغياب دور الفرق البيداغوجية للمقاييس وطرق تسييرها زاد من تيه طلبتنا؛ لقد أضحت المحاضرة ضربا من العلم لا يمت بصلة إلى علوم الأعمال الموجهة والتطبيقية؛ فتتضارب حينها المعلومات المقدمة من طرف الأساتذة المحاضرين والمطبقين، بل ويتلا سن الأساتذة أنفسهم ويستعرض كل منهم عضلاته العلمية التي هي في طريق النمو أصلا[28]؛ ويجد الطالب نفسه تائها؛ فأيهما الأصح ليسأله؛ وهل اتخذ القرار الصحيح فيمن يسأل، وعما يسأل، وكيف يسأل، وهل يسأل[29]؟. ويغيب حينها لدى الطالب الربط بين ما هو محاضرة وما دورها، وما تطبيق وما دوره؟.

إذا كنا قد انطلقنا من جدلية ما الطالب الذي يجب أن نؤ طر؟ هل الطالب المبادر أم الطالب المنتظر؟ فيجب علينا أن نتناول كذلك بالبحث ماذا وكيف نحاضر بمعنى ماذا يجب أن نقدم في المحاضرة؟ وماذا يجب أن نفعل في التطبيق؟،وكيف ننسق بينهما؟.

إن الجامعة لا تقف عند حد تكوين شاغلي الوظائف المكيفين مع المبادئ الوطنية والهوياتية لمجتمع ما في مختلف القطاعات، ولا عند حد تطوير المعرفة؛ ولكنها تتعدى ذلك إلى محاولة تقديم كوادرها المتمثلين في الأساتذة الجامعيين ليقدموا خدمات استشارية[30] لمختلف القطاعات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية، والتقنية؛ هذه الخدمات التي يجب أن تبدأ أولا داخل الحرم الجامعي وللطلبة أولا. إن استشارية الأستاذ تبدأ أولا بتقديره لمتطلبات الطالب التعليمية؛ متطلبات لا ترتبط بالجامعة فقط، بل بمنظومة اجتماعية متكاملة تبدأ باختيار الطالب لتخصصه، إلى قيمة هذا التخصص في الواقع الاجتماعي والعملي والتي تنتج عنه دافعية لتلقي متطلبات التخصص وبالتالي كفاءة المساهمة في تطوير هذا الواقع.

والحقيقة أن الأستاذ الجامعي يجد نفسه أمام أعداد هائلة من الطلاب والطالبات تائهة متسائلة عن جدوى اختيارها لتخصصها التي دُفعت إليه أصلا[31] وما مستقبلها بعد انتهاء سنوات الدراسة الجامعية، وما الأدوار الاجتماعية المنوطة بها، وما مقدار التقدير الاجتماعي والمهني الذي يرتبط بالمجهودات التي قدموها خلال دراستهم الجامعية.

إن هذه التساؤلات فضلا عن انعاكسها على دافعية الطالب في المثابرة والدراسة والتحصيل والتحدي، فإنها تشكل عائقا حقيقيا أمام الأستاذ في شد انتباه الطالب لمقرراته وواقع تخصصه وكذا توجيهه نحو أفضل السبل للتحصيل؛

---

[27] آلان، كولون؛ أن تغدو مدرسا في التعليم العالي، ترجمة:سام عمار،(دمشق:المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر،2006)، ص ص153، 154.

[28] في ظل النقص الفادح في تأطير المحاضرات، تلجأ الإدارة البيداغوجية بمباركة من المجالس العلمية بالسماح للأساتذة الموظفين حديثا ممن لا تتوفر فيهم معايير الخبرة والشهادة بتأطير المحاضرات.

[29] يأنف غالبية الطلبة عن سؤال محاضريهم ومطبقيهم لما يجدون تناقضا في المعلومات المقدمة إليهم.

[30] بربارا ماتيرو؛ وآخرون، مرجع سابق؛ ص26.

[31] يشير الكثير من الطلبة إلى أنهم لم يختاروا تخصصاتهم بطريقة إرادية بل دُفعوا إليها دفعا.

إن الكثير من الطلبة لا يهمه من الدوام الجامعي إلا الحصول على معدلات تمكنه من اجتياز المرحلة الجامعية[32] لرد الجميل لعائلة تنتظر تتويجه ومساهمته بأي شكل من الأشكال في الاقتصاد العائلي إثباتا لوجوده وبناء لنفسه وربما حلما في غد أفضل؛ لكن توقعات الطالب السلبية نحو محيطه الاجتماعي، والجامعي، وحتى نحو المستقبل، والناتجة في الأساس عن ارتكاسات وإحباطات في طموحه المشروع الذي من المفروض أن يؤدي به إلى رقي في السلم الاجتماعي والمعنوي والمادي؛ إن عدم تناسب الوظائف والأدوار يؤدي إلى تعرض البناء الاجتماعي للتفكك والأزمة...حينها سينهار نظام الحوافز والجزاءات الأدبية والمادية محرك كل تطور اجتماعي سليم[33] .

إن وقوف الأستاذ أمام متطلبات متعارضة بين رغبة الطالب ومتطلبات مجتمع وجامعة وإدارة جامعية ومتطلبات ضمير محاضر يريد الوصول بطلابه إلى مستوى يمكنهم من الحصول على متطلبات علمية قاعدية تساعدهم على الأقل على مواجهة مشاكلهم مستقبلا بشكل ممنهج ليس بالأمر اليسير مطلقا.

إن مناورة الأستاذ الجامعي وقدرته على الربط بين متطلبات متعارضة لإحداث تغيير ايجابي في مواقف الطالب نحو المعرفة وتوليد اتجاهات ايجابية؛ رغم تناقضات البيئة الجامعية والاجتماعية ليست بالسهولة التي نتصور؛ وإن نجاح هذا الدور يبدأ أولا من خلال نجاح عملية تقدير هاته المتطلبات التي لا تتم إلا من خلال تفاعل اجتماعي وبيداغوجي ونفسي ناجح مع جمهور الطلبة.

لا يجب أن ننسى في الأخير أن الواقع الاجتماعي الحالي لا يضمن حتى لأحسن المخرجات الجامعية مناصب شغل ولو على سبيل التشجيع والذي يعتبر مثبطا للكثير من الجموع الطلابية – واقع اجتماعي لا يؤمن بما تعرف وما تستطيع أن تفعل بقدر ما يؤمن بمن تعرف في إشارة إلى الرأسمال الاجتماعي بدل الرأسمال العلمي؛ وهي مقولة فرنسية– هو منطلق جيد لاستشارية الأستاذ في تحديد متطلبات الطالب والذي يعتبر تحديا يجب أن يرفعه الأستاذ من خلال عرضه للنماذج الناجحة من الطلبة الذين نجحوا في مهن حرة وربما هوايات بعيدة؛ ربما كل البعد عن تخصصاتهم الأصلية؛ إن المهم هو التكوين الجيد الذي يضمن التمفصل المطلوب بين المهن في الواقع المهني، والذي ينشده أيضا النظام الجامعي الجديد "أل أم دي".

نشير في نهاية هذه الدراسة أن التوقعات والتصورات السلبية التي قد تعتبر مجرد أفكار مسبقة[34]، والتي ألح (إميل دوركايم) التربوي الفرنسي الكبير على ضرورة الاحتراز منها واجتنابها إذا ما أردنا أن نصل إلى فهم سليم لمختلف الوقائع الاجتماعية؛ بما فيها التعليمية؛ أفكار مسبقة من الأستاذ نحو الطالب والتي تولد تقويما وتعاملا سلبيين مع الطالب ومجهوداته؛ وتوقعات سلبية من الطالب نحو الأستاذ في مناحي كثيرة، تعيق ولاشك ليس فقط الانتقال السليم للمعلومة؛ ولكن أيضا التواصل الاجتماعي والبيداغوجي الذي يعتبر أساس انتقال هذه المعلومة؛ يجب علينا والحال كذلك أن نعيد النظر في كيفية أدائنا للأدوار المطلوبة منا بشكل مرن ويسمح بالوصول إلى المبتغى.

---

[32] ليس للغالبية من الطلبة حسب بعض المقابلات التي أجريت معهم طموحا في مواصلة دراساتهم بعد التدرج.

33 بن زياني، محفوظ ،الأسرة والوعي التربوي . رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ص243.

[34] دوركايم، إيميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع, (الجزائر:موفم للنشر،1990)،ص ص 61،62.

ملاحق الدراسة

استمارة البحث والتي وُزعت يوم 15 مارس 2010 على عينة تتكون من سبعة وخمسون طالبا ممن حضروا آخر حصة قبل عطلة الربيع من طلبة السنة الثالثة تخصص اتصال؛ فرع علم الاجتماع.

في اطار فهم بعض المتغيرات الاجتماعية للتعليم المتعلقة بالسير الجيد لانتقال المعلومة من الأستاذ للطالب نتقدم اليكم أخي الطالب أختي الطالبة بهذه الاستمارة المتعلقة بحصر المشاكل البيداغوجية لديكم متمنين منكم قراءتها بدقة والإجابة عليها بكل أمانة.

جنس الطالب:..........................

تخصص الطالب في الثانوية:.........................

طالب عامل......................... طالب متفرغ.........................

السن:...............................

تقييكم لحضوركم في محاضرات وحدة منهجية الاتصال: دائم ....متذبذب............نادر.............

تقييمكم لدرجة فهمكم للمادة: جيد...........متوسط.............ضعيف............ لا أدري.............

النقطة المتحصل عليها في المادة:أقل من 05 05 إلى 10 مساوية ل10 أكبر من 10

تقييمكم لمدى رضاكم على النقطة المتحصل عليها

- غير راض تماما لأنها لا تعبر عن مستواي ومجهوداتي المبذولة في الوحدة
- راض لأنها تعبر عن مستواي ومجهوداتي المبذولة في الوحدة
- أخرى :

حددها...

تقييمكم لمدى إطلاعكم عن المصادر الخارجية في الوحدة عدا ما يقدمه الأستاذ:

- بالعربية: إطلاع مقبول لا أطلع
- باللغات الأخرى:اطلاع مقبول لا أطلع

تقييمك لمستواك في وحدة المنهجية في سنوات الجذع المشترك؟ جيد متوسط ضعيف

في كل الحالات

علل:...

في رأيكم إلى ما تعود نتائجكم؟

- صعوبة المادة...
- طريقة تقديم الأستاذ للمادة؟...

- شخصية

الأستاذ؟.....

.

- أخرى؟.....

.....

كيف تقيمون طريقة تقديم الأستاذ للوحدة؟ جيدة متوسطة سيئة

كيف تقيمون طريقة تعامل الأستاذ مع الطالب؟ مقبولة جافة

أخرى.....

كيف تقيمون تقديم الأستاذ للمادة؟

- تقديم متدرج

وملائم.....

- تقديم سريع مع انتقال فجائي من موضوع لآخر

.....

- أخرى.....

...

تقييمك لانضباطية الأستاذ؟

- صرامة مبالغ فيها لا تساعد على تلقي المعلومات
- أخرى.....

.....

هل تسأل أستاذك في حالة عدم تمكنك من فهم جزء أو كل المحاضرة؟ نعم لا

في حالة السلب هل يعود ذلك إلى:

- عدم تقبل الأستاذ

لأسئلتك.....

- خوفا من إحراج الأستاذ

لك.....

- أخرى.....

...

كيف تقيم تواصلك مع أستاذ الوحدة؟ جيد متوسط ضعيف

منعدم

إلى ما يعود ذلك في كل

الحالات؟.....

هل لديك ما تضيف حول طريقة تقديم الأستاذ لوحدة المنهجية طريقة وشرحا ومعاملة وتقويما؟

.....
....

المراجع:

01) المودودي، أبو الأعلى. نحن والحضارة الغربية. الجزائر :د.م.ج ،1985.

02) إيميل، دوركايم. قواعد المنهج في علم الاجتماع, (الجزائر :موفم للنشر،1990).

03) جونسن، ايريك. التدريس الفعال. ط1؛ العربية السعودية:مكتبة جرير،2006.

04) ج.ج.د.ش،المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، تعليمية المواد في المدرسة الابتدائية.الجزائر :م.و.ت.م.ت.م.ت.ت.م

05) كولون، آلان. أن تغدو مدرسا في التعليم العالي. ترجمة:سام عمار، دمشق:المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 2006.

06) ماتيرو، بربارا؛ وآخرون. الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي. ط1؛ ترجمة:حسين، ماجد عبد اللطيف؛ وآخرون، الأردن:دار الشروق،2002.

07) محمد زياد، مسعد. الاختبارات: مفهومها وبناؤها *www.drmosad.com/index97.htm*

08) محفوظ،بن زياني. الأسرة والوعي التربوي . رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر

09) Emille, Durkheim , Education et sociologie. Alger :ed EL borhane,1991 .